

الصدق

عناصر الخطبة

تعريف الصدق

الأمور التي تدعوننا إلى الصدق

فضل الصدق وثواب الصادقين

صفات الصادقين

التفصيل

الصدق لغة:

مصدر قولهم صدق يصدق صدقا وهو مأخوذ من مادة (ص د ق) التي تدلّ على قوّة في الشّيء قولاً أو غير قول، من ذلك الصّدق خلاف الكذب لقوّته في نفسه ولأنّ الكذب لا قوّة له، وهو باطل. (١)

الصدق اصطلاحاً:

قال الرّاعب: الصّدق مطابقة القول الضّمير والمخبر عنه معاً، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقا تاماً، بل إمّا ألا يوصف بالصدق، وإمّا أن يوصف تارة بالصدق وتارة بالكذب على نظرين مختلفين، كقول كافر إذا قال من غير اعتقاد: محمّد رسول الله ﷺ، فإنّ هذا يصحّ أن يقال: صدق لكون المخبر عنه كذلك، ويجوز أن يقال كذب لمخالفة قوله ضميره، وبالوجه الثّاني، اكذاب الله المنافقين حيث قالوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ. (المنافقون: ١) (٢)

(١) نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم

(٢) المفردات للراغب (٢٧٧).

ومن هذا المعنى قول النبي ﷺ ((ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صادقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار)).

وقال الهاوردي في أدب الدنيا والدين: فَالصَّدْقُ هُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَالْكَذِبُ هُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ الشَّيْءِ بِخِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ.

ما هي الأمور التي تدعوننا إلى الصدق؟

وقد لخص الهاوردي - رحمه الله - دواعي الصدق فقال:

١- العقل: من حيث كونه موجبا لقبح الكذب. لَا سِيَّيَا إِذَا لَمْ يَجِبْ نَفْعًا وَلَمْ يَدْفَعْ ضَرَرًا. وَالْعَقْلُ يَدْعُو إِلَى فِعْلِ مَا كَانَ مُسْتَحْسَنًا، وَيَمْنَعُ مِنْ إِتْيَانِ مَا كَانَ مُسْتَقْبَحًا.

٢- الشرع: حيث ورد بوجوب اتباع الصدق وحظر الكذب، والله سبحانه لم يشرع إلا كل خير.

٣- المروءة: لأنها مانعة من الكذب باعثة على الصدق.

٤- حبّ الاشتهار بالصدق: فمن يتمتع بهذا الاشتهار بين الناس، لا يردّ عليه قوله، ولا يلحقه ندم (٣)

واعلم أن لفظ الصدق قد يستعمل في معان:

أحدهما: الصدق في القول: فحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه، ولا يتكلم إلا بالصدق، والصدق باللسان هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها.

وينبغي أن يحترز عن المعارض، فإنها تجانس الكذب إلا أن تمس الحاجة إليها، وتقتضيها المصلحة في بعض الأحوال، وقد كان النبي ﷺ إذا أراد غزوة ورى بغيتها لثلا ينتهي الخبر إلى الأعداء فيتهيؤوا لقتاله، وقال ﷺ: " ليس بكاذب من أصلح بين اثنين فقال خيراً، أو نمي خيراً "

(٣) أدب الدنيا والدين (٢٦١ - ٢٦٢).

وينبغي أن يراعى معنى الصدق في ألفاظه التي يناجى بها ربه، كقوله: وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض، فإن كان قلبه منصرفاً عن الله مشغولاً بالدنيا فهو كاذب.

الثاني: الصدق في النية والإرادة، وذلك يرجع إلى الإخلاص، فإن مازج عمله شوب من حظوظ النفس، بطل صدق النية، وصاحبه يجوز أن يكون كاذباً كما في حديث الثلاثة: العالم، والقارئ، والمجاهد. لما قال القارئ: قرأت القرآن إلى آخره، إنها كذبه في إرادته ونيته، لا في نفس القراءة، وكذلك صاحبه.

الثالث: الصدق في العزم والوفاء به.

أما الأول: فنحو أن يقول: إن آتاني الله مالاً تصدقت بجميعه، فهذه العزيمة قد تكون صادقة، وقد يكون فيها تردد.

وأما الثاني: فنحو أن يصدق في العزم وتسخو النفس بالوعد، لأنه لا مشقة فيه إلا إذا تحققت الحقائق، وانجلت العزيمة، وغلبت الشهوة، ولذلك قال الله تعالى: { من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه { [الأحزاب: ٢٣] وقال في آية أخرى: { ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن { إلى قوله { وبما كانوا يكذبون { [التوبة: ٧٥-٧٧].

الرابع: الصدق في الأعمال، وهو أن تستوي سريرته وعلانيته، حتى لا تدل أعماله الظاهرة من الخشوع ونحوه على أمر في باطنه، ويكون الباطن بخلاف ذلك. قال مطرف: إذا استوت سريرة العبد وعلانيته قال الله عز وجل: هذا عبدى حقاً.

الخامس: الصدق في مقامات الدين، وهو أعلى الدرجات، كالصدق في الخوف والرجاء والزهد والرضى والحب والتوكل، فإن هذه الأمور لها مبادئ ينطلق عليها الاسم بظهورها، ثم لها غايات وحقائق، فالصادق المحقق من نال حقيقتها، وإذا غلب الشيء وتمت حقيقته سمى صاحبه صادقاً، قال الله تعالى: { ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر. . { إلى قوله: { أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون { [البقرة: ١٧٧] وقال

تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [الحجرات: ١٥].

ولنضرب للخوف مثلاً فنقول: ما من عبد يؤمن بالله إلا وهو خائف من الله خوفاً يطلق عليه الاسم وهو غير بالغ إلى درجة الحقيقة، ألا تراه إذا خاف سلطاناً كيف يصفر ويرتعد خوفاً من وقوع المحذور، ثم إنه يخاف النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند فعل المصيبة، ولذلك قال عامر بن عبد قيس: عجبت للجنة نام طالها، وعجبت للنار نام هارها.

والتحقيق في هذه الأمور عزيز جداً، فلا غاية لهذه المقامات حتى نال تمامها، ولكن لكل حظ بحسب حاله، إما ضعيف وإما قوى، فإذا قوى سمي صادقاً، وإذا علم الله من عبد صدقاً صغى له، والصادق في جميع هذه المقامات عزيز، وقد يكون للعبد صدق في بعضها دون بعض. ومن علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعاً وكرهه اطلاع الخلق على ذلك. (٤)

وقد أخبر - سبحانه - أنه أكرم عباده المتقين بأن جعل لهم: مدخل صدق ومخرج صدق ولسان صدق وقدم صدق ومقعد صدق. (٥).

قال الفيروز ابادي: والصدّيق: الرّجل الكثير الصّدق. وقيل: الصّدّيق: من لم يصدر منه الكذب أصلاً. وقيل: من صدق بقوله واعتقاده، وحقّق صدقه، قال تعالى في حق إبراهيم: {إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا} (مریم/ ٤١).

فالصدّيقون: قوم دون الأنبياء في الفضيلة، ولكنّ درجتهم ثاني درجة النّبیین. وفي الجملة، منزلة الصّدق من أعظم منازل القوم، وهو الذي نشأ منه جميع منازل السّالکین. وهو الطّريق الأقوم الذي لم يسر عليه

(٤) انظر إحياء علوم الدين ومختصر منهاج القاصدين

(٥) بصائر ذوي التمييز (٣٩٨-٤٠٣)، ومدارج السالكين (٢/ ٢٨١) وما بعدها.

فهو من المنقطعين الهالكين. وبه تميّز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكّان الجنان من أهل النيران. وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه، ولا واجه باطلاً إلا أزاله وصرعه. فهو روح الأعمال، ومحلّ الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال. (٦)

الرسول ﷺ إمام الصادقين:

لقد كانت حياته ﷺ أفضل مثال للإنسان الكامل الذي اتّخذ من الصدق في القول والأمانة في المعاملة خطأ ثابتاً لا يجيد عنه قيد أنملة، وقد كان ذلك فيه بمثابة السجّية والطبع فعرف بذلك حتى قبل البعثة، وكان لذلك يلقّب بالصادق الأمين، واشتهر بهذا وعرف به بين أقرانه، وقد اتّخذ ﷺ من الصدق الذي اشتهر به بين أهله وعشيرته مدخلاً إلى المجاهرة بالدعوة، إذ إنّه لما نزل قوله تعالى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} (الشعراء/ ٢١٤) جمع أهله وسألهم عن مدى تصديقهم له إذا أخبرهم بأمر من الأمور، فأجابوا بما عرفوا عنه قائلين: ما جرّبنا عليك إلا صدقا، روى ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: ((لما نزلت وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ... (الشعراء/ ٢١٤) صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: ((يا بني فهر، يا بني عدي)) لبطن قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: ((أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدّقي؟)). قالوا: نعم، ما جرّبنا عليك إلا صدقا. قال: ((فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)). فقال أبو لهب: تبّأ لك سائر اليوم، ألهذا جمعتمنا؟ فنزلت {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ* مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} (المسد/ ١-٢).

وقد كان الصدق من خصائص أقواله ﷺ، يقول صاحب جلاء الأفهام ما خلاصته: لقد كان ﷺ محفوظ اللسان من تحريف في قول واسترسال في خبر يكون إلى الكذب منسوبا وللصدق مجانياً. .

(٦) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٢٨١ و٢٨٢).

وكانت قريش كلها تعرف عنه ذلك، ولو حفظوا عليه كذبة نادرة في غير الرسالة لجعلوها دليلا على تكذيبه في الرسالة، ومن لزم الصدق في صغره كان له في الكبر الأزم، ومن عصم منه في حق نفسه كان في حقوق الله أعصم.

وبعد البعثة المباركة كان تصديق الوحي له مدعاة لأن يطلق عليه أصحابه ((الصادق المصدق))، وصدق الله - عز وجل - إذ قال: { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى } (النجم / ٢ - ٤).

وكان أخص الناس به ﷺ يلقب بالصديق لكثرة صدقه مع الله ولكثرة تصديقه للنبي ﷺ فما كذب مع الله ولا كذب مع الناس^(٧)

فضل الصدق وثواب الصادقين:

١- أن الله تعالى هو الذي يجزي الصادقين بصدقهم حيث قسّم سبحانه الناس إلى صادق ومنافق، فقال: { لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ } (الأحزاب / ٢٤).

٢- أن الله تعالى أمرنا بالصدق: (عن أبي سفيان صخر بن حرب رضى الله عنه) في حديثه في قصة هرقل قال هرقل: فماذا يأمركم؟ - يعني النبي ﷺ قال أبو سفيان قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة).

٣- ما أعدده الله للصادقين يوم القيامة ومنه قوله تعالى:

١- { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْبِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبِإِ (١٤) قُلْ أَتُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَُمِ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥)

(٧) موسوعة نضرة النعيم

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُتَّقِينَ
وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (١٧) {آل عمران

٢- {قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم (١١٩)} الهائدة

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: ((أربع إذا كنّ فيك فلا عليك ما فاتك في الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليفة، وعفة في طعمة))^(٨)

وعن عبادة بن الصّامت- رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: ((اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: أصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اتتمتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم))^(٩)

عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- عن النبي ﷺ، قال: ((إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا))^(١٠)

٣- الصادق في نيته إذا حبس عن العمل كان له كأجر العامل عن أبي كبشة الأنباري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((ثلاثة أقسم عليهن وأحدنكم حديثا فاحفظوه" قال: "ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزاء، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة

(٨) أحمد (١٧٧ / ٢) واللفظ له، وقال أحمد شاكر (١٠ / ٦٦٥٢): إسناده صحيح. قال المنذري في الترغيب (٣ / ٥٨٩): إسناده حسن. والحاكم في المستدرک (٤ / ٣١٤) من رواية عبد الله بن عمر وسكت هو والذهبي عليه.

(٩) الحاكم في المستدرک (٤ / ٣٥٩) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. ولم يخرجاه وصححه الذهبي. وأخرجه أحمد (٥ / ٣٢٣، ٣٢٣).

(١٠) البخاري- الفتح ١٠ (٦٠٩٤) واللفظ له، مسلم (٢٦٠٧).

نَحْوَهَا" وَأَحَدْتُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ" قَالَ: " إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ، عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبُطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوَزُرُهُمَا سَوَاءٌ" (١١)

٤- من صدق مع الله في نيته صدق الله معه في وعده: عَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ ثُمَّ قَالَ أَهَاجِرٌ مَعَكَ فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةُ غَنِمِ النَّبِيِّ ﷺ سَبِيًّا فَقَسَمَ لَهُ فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ فَلَمَّا جَاءَ دَفْعُوهُ إِلَيْهِ فَقَالَ مَا هَذَا قَالُوا قَسِمَ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ مَا هَذَا قَالَ قَسَمْتُهُ لَكَ قَالَ مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَاهُنَا وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ فَأَمُوتَ فَأَذْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَالَ إِنْ تَصَدَّقَ اللَّهُ يَصُدِّقَكَ فَلَبِثُوا قَلِيلًا ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ فَأَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَهُوَ هُوَ قَالُوا نَعَمْ قَالَ صَدَقَ اللَّهُ فَصَدَّقَهُ ثُمَّ كَفَنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ فَكَانَ فِيهَا ظَهْرٌ مِنْ صَلَاتِهِ اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقَتِلَ شَهِيدًا أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ (١٢).

وقريب من هذا أن من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ((من طلب الشهادة صادقاً، أعطيها ولو لم تصبه) * (١٣)).

(١١) أحمد (٤/ ٢٣٠). والترمذي (٢٣٢٥) وقال: حديث حسن صحيح - وهذا لفظه. وابن ماجه برقم (٤٢٢٨) بلفظ قريب. وقال محقق جامع الأصول (١١/ ١٠) كما قال الترمذي.

(١٢) سنن النسائي (١٩٥٣) وصححه الألباني

(١٣) مسلم (١٩٠٨).

ونحوه من حديث سهل بن حنيف أن النبي ﷺ قال: ((مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ)) (١٤)

٥- الصدق سبيل من سبل الفلاح: عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَائِرَ الرَّأْسِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مَاذَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ: "الصَّلَوَاتِ الْحَمْسَ إِلَّا أَنْ تَطْوَعُ شَيْئًا"، فَقَالَ: أَخْبِرْنِي مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الصِّيَامِ؟ فَقَالَ: "شَهْرَ رَمَضَانَ إِلَّا أَنْ تَطْوَعُ شَيْئًا"، فَقَالَ: أَخْبِرْنِي بِمَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الزَّكَاةِ؟ فَقَالَ: فَأَخْبِرُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ، قَالَ: وَالَّذِي أَكْرَمَكَ، لَا أَتَطْوَعُ شَيْئًا، وَلَا أَنْقُصُ مِمَّا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ، أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ إِنْ صَدَقَ" (١٥)

٦- الصدق سمة الأنبياء والصدّيقين:

١- {وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا} (مريم: ٤١)، {وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا} (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا}، {وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا} (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} (٥٧)، {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} (٢٢) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} (٢٤)، {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} (الأحزاب: ٣٥)

(١٤) مسلم (١٩٠٩).

(١٥) البخاري-الفتح ٤ (١٨٩١) واللفظ له. ومسلم (١١).

٧- الصدق نجاة للتجار من الفجور (عن رفاة ﷺ أنه خرج مع النبي ﷺ إلى المصلّى فرأى الناس يتبايعون. فقال: ((يا معشر التّجار!! فاستجابوا لرسول الله ﷺ ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه فقال: ((إنّ التّجار يبعثون يوم القيامة فجّارا، إلّا من اتقى الله وبرّ وصدق))^(١٦)

٨- وهو سبيل البركة في البيع (عن حكيم بن حزام- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: ((الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَفْتَرِ قَا فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ فِي بَيْعِهِمَا وَإِنْ كَذَبَا وَكْتَمَا مُحِقَّ بَرَكَتُهُ بَيْعُهُمَا))^(١٧)

٩- الصدق طمأنينة والكذب ريبة: (عن الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنها قال: حفظت من رسول الله ﷺ: ((دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ، فَإِنَّ الصُّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيْبَةٌ*))^(١٨)

١٠- الصدق من أسباب المحبة في قلوب الناس: (قال عليّ بن أبي طالب- رضي الله عنه-: ((من كانت له عند النّاس ثلاث وجبت له عليهم ثلاث، من إذا حدّثهم صدقهم، وإذا اتّمنوه لم يخنهم، وإذا وعدهم وقى لهم، وجب له عليهم أن تحبّه قلوبهم، وتنطق بالشّاء عليه ألسنتهم، وتظهر له معونتهم^(١٩)

صفات الصادقين:

١- {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ

(١٦) الترمذي (١٢١٠) واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وقال الحاكم (٦/٢): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. والحديث أورده الهيثمي في المجمع (٤/٧٣)، (٨/٣٦) ونسبه لأحمد والطبراني وقال: رجالهما رجال الصحيح.

(١٧) البخاري (٢٠٧٩). واللفظ له ومسلم (١٥٣٢).

(١٨) رواه الترمذي (٢٥١٨) واللفظ له، وقال: حديث حسن صحيح. والنسائي (٨/٣٢٧، ٣٢٨) وقال محقق جامع الأصول (٦/٤٤٣، ٤٤٤): إسناده صحيح.

(١٩) الآداب الشرعية: ٢٩/١.

وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} (البقرة: ١٧٧)

٢- {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} (١٥) قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦) يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} الأنفال.

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: ((لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَانًا)) (٢٠)

وأخيرا الصدق ينجيك وإن رأيت فيه الهلكة والكذب يردك وإن رأيت فيه النجاة وذلك في الدنيا والآخرة:

قال ابن القيم: وقيل: ((عليك بالصدق حيث تخاف أنه يضرّك، فإنه ينفعك، ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرّ بك)) (٢١)

ونضرب على ذلك مثلا يوضح لنا حقيقة النجاة في الصدق وإن ظهر لنا أن النجاة في الكذب (عن كعب بن مالك ؓ في حديث توبته وأمر بهجره ثم تاب الله عليه فلما كان بين يدي النبي قال: يا رسول الله! إنما أنجاني بالصدق. وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت. قال: فو الله! ما علمت أن أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث، منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، أحسن مما أبلاني الله به. والله! ما تعمّدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ، إلى يومي هذا. وإنّي لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي. قال: فأنزل الله- عز وجل-: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ

(٢٠) مسلم (٢٥٩٧).

(٢١) مدارج السالكين ٢/٢٩٠

الْعُسْرَةَ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ* وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ { (التوبة/ ١١٧ - ١١٨) حَتَّى بَلَغَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } (التوبة/ ١١٩). قال كعب: والله ما أنعم الله عليّ من نعمة قطّ، بعد إذ هداني الله للإسلام، أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبتة، فأهلك كما هلك الذين كذبوا. إن الله قال للذين كذبوا، حين أنزل الوحي، شرّ ما قال لأحد. وقال الله: {سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ* يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ } (التوبة/ ٩٥، ٩٦). (٢٢)

وأما في مواقف الآخرة فقد قال الله تعالى: {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ شُرَكَائِكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتِنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣) انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤) }

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَازِنِيِّ قَالَ بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَخَذَ بِيَدِهِ إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ فَقَالَ كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ {إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَفَّهُ وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا فَيَقُولُ نَعَمْ أَيْ رَبِّ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ سَتَرْتُمَا عَلَيَّكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَعْرِفُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ {هُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} (٢٣)

وللأجل هذا أمرنا الله تعالى أن نكون مع الصادقين لأن الله رحيم بعبادة فقال: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا

اللَّهِ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} (التوبة/ ١١٩). والحمد لله رب العالمين.

(٢٢) البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩) واللفظ له.

(٢٣) البخاري (٢٤٤١)